الاختيار الثوري

مجلة مغربية عربية

المؤامرة الكبرى ضد الشعبين الفلسطيني واللبناني

.....

الجبهة الوطنية الديمقراطية بديلاً عن "الاجماع" الفاسد

1982

3

ALIKHTIAR — ATHAOURI

option révolutionnaire

revue trimestrielle marocaine

1982 - N°3 - 7ème année - 10F.

من مطبوعات الاختيار

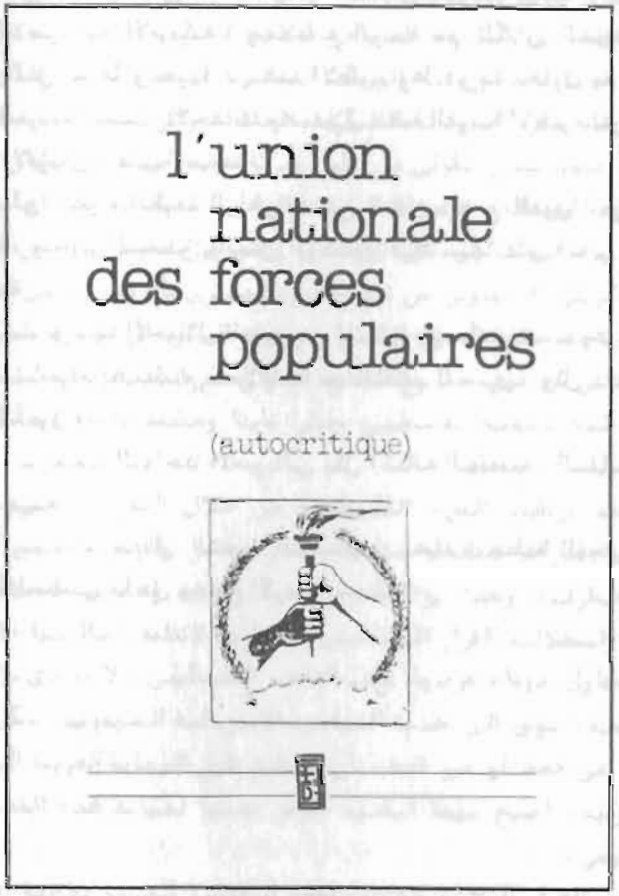

صدر مؤخرا، عن "الاخبار النورى" كراس بالفرنسية يحمل عنوان "الاتحاد الوطني للقوات الشعبية ـ نقد ذاتي".

المؤامرة الكبرى
ضد
الشعبين الفلسطيني واللبناني

صمود الثورة الفلسطينية وخيانة الانظمة العربية

في السادس من شهر جوان الاخير ، بدأ الاجتياح العسكرى الصهيوني للبنان بعد تحضير طويل وترتيبات عسكرية وسياسية عدة. وتم كل هذا بتنسيق وثيق مع الولايات المتحدة الامريكية باعتراف الصهاينة أنفسهم. لقد استخدم العدو في هذا الغزو امكانيات عسكرية ولوجيستية ضخمة وتقنيات عالية وحديثة لتحقيق أهدافه المعلنة والمبطنة. وهكذا ، في ظل السكوت العربي الرسمي المطبق ، تقدمت جيوش الاحتلال لتجتاح الجنوب اللبناني وتتعداه لتحاصر بيروت وتسيطر على ما يقارب ثلثي الارض اللبنانية.

واذا كان الصمود الفلسطيني ـ اللبناني الرائع والتصدى الملحمي للقوات المشتركة أمام الهجمة الوحشية الشرسة ، قد مكنا المقاومة الفلسطينية من انسحاب مشرف من بيروت ، ومكناها أيضا من توسيع رقعة العطف والمساندة الدوليين لكفاحها العادل ، فان الكيان الصهيوني ، رغم انفضاحه ، حاول ولا يزال يحاول أن يجعل من احتلاله للبنان أمرا واقعا ، بل وأن يصبح طرفا مقررا في رسم معالم السياسة اللبنانية.

ان دخول القوات الصهيونية الى بيروت الغربية ، والمجزرة الوحشية الفاشية التي تمت بتزكية وتدبير من هذه القوات في المخيمات الفلسطينية ، لتؤكد ، ان كانت هناك حاجة للتأكيد ، على أن العدو مصمم على المضي قدما في تحقيق

مراميه العدوانية التي يمكن اجمالها في : عزل لبنان عن الوطن العربي من خلال اقحامه في اتفاقية خيانية مع العدو، الاستيلاء على حيز واسع من الجنوب اللبناني (حتى حدود نهر الليطاني) ، فرض واقرار التطبيع الاقتصادي والتجاري. وبالطبع ، فان تطبيق سياسة من هذا النوع يمر حتما عبر تصفية القوى الديموقراطية اللبنانية وفرض واقع فاشي ديكتاتوري في لبنان. وبذلك تحاول اسرائيل أن تعمم كامب ديفيد على كامل المنطقة ، وأن تقنن احتلالها للاراضي العربية القديم منها والجديد.

واذا كان هذا واقع السياسة العدوانية للكيان الصهيوني بالدعم الكامل للولايات المتحدة.. واذا كان الشعب اللبناني بقواه الحية، والثورة الفلسطينية ـ قيادة وقواعد ـ قد عبروا من خلال أطول معركة مع العدو عن استعداد قتالي هائل ومعنويات نضالية عالية وصمود بطولي.. فان الانظمة العربية ما فتئت تعطي الدليل تلو الدليل على تخاذلها المخزي وتواطئها العلني أو الضمني مع مؤامرة التصفية التي تستهدف مصير الثورة الفلسطينية ومصير لبنان وعروبته ووحدته. فسواء قبل الاحداث أو خلالها، وسواء عبر القمة العربية الاخيرة أو بعدها، فان الرد العربي الرسمي لم يتعد حدود التصريحات والكلمات.

الموقف العربي الرسمي والغزو الصهيوني :

جاء الغزو الصهيوني للبنان في ظرف عربي عام يتسم بتمكن التحالف الرجعي الصهيوني الامبريالي من تحقيق عدة مكاسب، ومن تدشين الخطوات الاولى على طريق تحقيق البعض الاخر. فبعد مرور التطبيع المصري الاسرائيلي الى مرحلة متقدمة بعد "ارجاع سيناء" و"تصفية الخلافات الحدودية بين البلدين" دخل التحالف الصهيوني الامبريالي في مرحلة جديدة لتعميم كامب ديفيد وتثبيت مصالحه الاستراتيجية بالمنطقة العربية. وهكذا كرست الامبريالية الامريكية وجودها العسكري الاستراتيجي وهيمنتها على أكثر من بلد عربي عبر اتفاقيات ثنائية، كما كرست دورها كطرف رئيسي حاسم في "مسلسل السلام" بل وكمظلة وحيدة لهذا المسلسل. في نفس الوقت قطع العدو الصهيوني خطوات في طريق تحقيق هدفه الرامي لتقنين احتلاله الاستيطاني للضفة الغربية وغزة والجولان بموازاة مع ضرب رموز المقاومة الفلسطينية في الداخل وتصعيد القمع المنهجي ضد الشعب الفلسطيني في الارض المحتلة. أما الرجعيات العربية

فقد باشرت بزعامة العربية السعودية سياسة التفتح العلني على النظام الرجعي في مصر تمهيدا لتعريب مسلسل الخيانة وتعميمه. هذه اذن ، وبتركيز شديد ملامح الوضع العربي الذي جاء فيه الاجتياح الصهيوني للبنان. فهو، كما يتضح، تسلسل تدريجي لنفس السياسة المتشابكة الاطراف والمحورة حول محور رئيسي : تصفية الثورة الفلسطينية وتكريس الهيمنة الامبريالية الصهيونية الرجعية على الوطن العربي.

لقد كانت الشهور الاخيرة، رغم فداحة الثمن، مناسبة جديدة لتعرية الانظمة وفضح وجهها الحقيقي. فطوال تقدم جيوش الاحتلال وسياسة التدمير والخراب والابادة الجهنمية التي باشرتها، لم تحرك الانظمة العربية ساكنا، مكتفية بالصمت أو بالتنديد اللفظي مجمدة قواتها وطاقاتها العسكرية والمادية مستمرة في علاقات الود والتواطؤ مع الولايات المتحدة. لكن الانظمة لم تكتف فحسب بالصمت، وبتجميد امكاناتها، بل طوقت كل المبادرات أو التحركات الجماهيرية ومارست حصارا اعلاميا موازيا للحصار الصهيوني على بيروت. وعلى الرغم من هذا التطويق، عرفت عدة بلدان عربية عددا من التظاهرات والمبادرات التضامنية الشعبية، لكنها كانت ضعيفة عما شهدته الدول الاوروبية، ودون مستلزمات الظرف القومي الخطير ومتطلبات فك الحصار الصهيوني وردع عدوانه الغاشم. فقد أبى الحكام العرب الا أن يتوجوا صمتهم التآمري وجمودهم التواطئي، بكم أفواه الجماهير وشل طاقاتها. وعلى سبيل الذكر لا الحصر، حال النظام المغربي (رئيس لجنة القدس، رئيس القمة العربية..) دون قيام نشاط جماهيري فعال سواء بمنع عدد من التجمعات والتظاهرات أو بالحصار الاعلامي على الاحداث نفسها أو بالتضييق على المبادرات التي انطلقت هنا وهناك..

قمة فاس : غزو سياسي مكمل للغزو العسكري

وهكذا بعد سكوت وتواطؤ صامت طوال ثلاثة أشهر، وبصفة جد متأخرة انعقدت القمة العربية بفاس، بعد أن انتظر الحكام العرب "مرور الزوبعة" على حد تعبير رئيس القمة. لكن هذا المؤتمر بدلا من أن يرسم خطة عربية أدنى لمواجهة الظرف وتوفير الامكانيات العملية والملموسة لذلك، اكتفى باعادة تسجيل الحقوق الوطنية المشروعة للشعب الفلسطيني، مضيفا اليها اعترافا ضمنيا مجانيا بالعدو الصهيوني. مسجلا كذلك تنديده واستنكاره اللفظي لاحداث لبنان، وكأن خطورة الظرف وواقع الاحتلال الملموس لا يتعلق ببلد عربي، وكأن هذا الوضع

لا يهدد المصير العربي ككل . والاخطر هو تكريس المؤتمر للمراهنة على الولايات المتحدة وللتفتح العربي على النظام المصري، نظام سياسة التطبيع مع العدو. فضلا عن اصلاح العلاقات بين هذا النظام وذاك على أساس مواقف تثير كامل الحيطة والحذر.

واذا كان من حق الثورة الفلسطينية الكامل أن تتكيف سياسيا ودبلوماسيا مع الظرف الجديد وفق أهدافها الاستراتيجية، وبما يخدم النضال المشروع للشعب الفلسطيني والقضية القومية عامة، فان مؤتمر القمة كان مطالبا بالحزم والتشدد ازاء الولايات المتحدة والكيان الصهيوني لمواجهة الاحتلال الاسرائيلي في لبنان بالوسائل الفعالة والتصلب الضروري. فالثورة الفلسطينية برهنت، قيادة وشعبا، عن وعي سياسي نضالي كبير، واستعداد كفاحي بطولي، ونضج على مواجهة الاحداث ورسم سياستها بكل حرية وخارج طوق الوصاية العربية

ما كان مطلوبا من القمة العربية، اذن، ليس مجرد التأكيد على حقائق فرضتها الثورة الفلسطينية بنضالها وصمودها على العالم أجمع، بل كان مطالبا أساسا برسم سياسة عملية ملموسة لدعم القضية الفلسطينية ونضال الشعب اللبناني في مواجهة الاحتلال.

ان القمة العربية اذن، لم تكن دون مستوى متطلبات الظرف فحسب، بل الادهى من ذلك أن تترك الباب مفتوحا أمام الرجعية العربية وباسم الاجماع لمواصلة سياستها التواطئية مع التحالف الامبريالي الصهيوني لتعميم كامب ديفيد واخضاع الوطن العربي للسيطرة الامبريالية الصهيونية على كافة المستويات. فتثبيت الدور الريادي للولايات المتحدة، والاعتراف الضمني المجاني بدولة العدو، وتزكية التطبيع المصري ـ الاسرائيلي عبر التفتح على النظام المصري، وسلوك سياسة التجاهل أمام ما يجري في لبنان.. كل هذا يعطي للقمة العربية وتحديدا لخلاصاتها السياسية سمة الغزو السياسي المكمل للغزو العسكري الذي شنه العدو في لبنان.

سياسة الانظمة.. ثغرة في النضال القومي

ان الانظمة العربية بذيليتها وتخلفها واقعا ووعيا وآفاقا، تشكل عائقا أساسيا في وجه المسيرة النضالية للشعب العربي. وتتجلى هذه المسألة على واجهتين مترابطتين ومتكاملتين: واجهة داخلية وواجهة خارجية. فعلى المستوى الداخلي، يتركز الحرص الاساسي للانظمة العربية على تهميش الجماهير وابعادها

عن القرار والتوجيه. فمساهمة الجماهير لا تتعدى عند هؤلاء الحكام مفهوم دعم السلطة والتصفيق لمقرراتها. أما ابداء الرأي والقدرة على التعبير وعلى التنظيم وممارسة الحقوق الديموقراطية الدنيا، فهذه تعد جرائم توصل بأصحابها الى غياهب السجون والمعتقلات والتشريد. فسواء تعلق الامر بأبسط مظاهر الحياة اليومية أو بأخطر القضايا الوطنية، فان الحكام العرب يتصرفون فيها كما يتصرفون في طاقات المجتمع وثرواته المادية والبشرية حسب مصالحهم الاجتماعية الضيقة وفي دائرة نخبوية تصبح فيها المواطنة نوعا من الامتياز. ان تكبيل الطاقات الشعبية وقمع التحركات الجماهيرية بشكل منهجي يشكل مساهمة مباشرة في خدمة المخططات الامبريالية الصهيونية من جانب الحكام. ذلك أنهم بهذه السياسة يحرمون الثورة الفلسطينية من عمق جماهيري عربي واسع ويحرمونها من دعم حقيقي لا يمكن أن توفره لها أطنان الاسلحة التي يكدسونها لحماية عروشهم وكراسيهم. فلم يكن غريبا في شيء أن تكون معركة بيروت أطول حرب عربية مع العدو الصهيوني، فتلاحم الشعبين اللبناني والفلسطيني، وتحررهما من الوصاية العربية الرسمية هو الذي أعطى للثورة الفلسطينية والقوات المشتركة كامل القدرة على الصمود ومواجهة العدو دون مساومات ودون تراجعات مبدئية. أما على المستوى الثاني، أي المستوى الخارجي، فان الانظمة العربية بتبعيتها للرأسمالية العالمية وبمراهنتها وارتباطها بالولايات المتحدة بهذا الشكل أو ذاك، تجعل منها طابورا خامسا للعدو الامبريالي الصهيوني داخل الوطن العربي. فتعامل هذه الانظمة مع القضايا القومية، لا يتعدى حدود محاولة توظيف هذه القضايا في تسكين تناقضاتها الداخلية وضمان استمرار مصالحها الاجتماعية وسيطرتها على رقاب الجماهير. ان هذا التعامل، يفقد هذه الانظمة من أدنى حد من الاستقلالية في رسم مواقفها، بل يجعلها خاضعة باستمرار لتوجيه الامبريالية الامريكية ومنفذا أمينا لمخططاتها ومناوراتها. فما أثبتته معركة بيروت وما تثبته الاحداث الجارية لهو غياب الحس الوطني الادنى لدى هذه الانظمة، وعجزها الهيكلي عن التصدي لابسط مقومات التضامن القومي في وجه عدو حضاري تتعدى أطماعه حدود فلسطين لتشمل الساحة العربية ككل.

★

لبنان في ظل الاحتلال الاسرائيلي

منذ أن عبرت جيوش العدو الصهيوني حدود لبنان، وهذا البلد يعيش منعطفا خطيرا في تاريخه، منعطف أثر وسيزيد في التأثير على أوضاع المنطقة كلها وقسم من المجتمع الدولي. ان تاريخ ٦ جوان ١٩٨٢ يشكل بالنسبة لفرض النظام الاسرائيلي ـ الامريكي بالشرق الاوسط تاريخ الانتقال الى مرحلة جديدة، عسكرية هذه المرة، بعد انتهاء المرحلة التي قادت الى مأزق كامب ديفيد، فصمود الفلسطينيين في الاراضي المحتلة من جهة، وتعزيز التلاحم الفلسطيني اللبناني من جهة أخرى، جعلا حكومة بيغن في ظل رعاية الامبريالية الامريكية ترى في تصفية المقاومة الفلسطينية من الخارج، مدخلا الى فرض التسوية الاسرائيلية في الضفة الغربية وغزة. ومن هنا، فان الانتقال الى المرحلة التالية لم يكن الا مسألة وقت، ولم يكن الحكام الصهاينة يخفون نواياهم، بل ان تصفية منظمة التحرير الفلسطينية كانت تندرج في منطق كامب ديفيد منذ البداية.

الغزو الاسرائيلي ضمن العدوان الامبريالي الشامل

لقد جاء الغزو الصهيوني للبنان تتويجا لسلسلة من الاعمال العدوانية

التي تمثلت في القصف المستمر للاراضي اللبنانية وتحطيم المفاعل النووي العراقي وصولا الى القمع الوحشي العنصري الموجه يوميا ضد الشعب الفلسطيني الصامد في الاراضي المحتلة، مرورا بضم مرتفعات الجولان السورية. كما تجسد هذا التصعيد العدواني في تقنين الاحتلال الاسرائيلي لفلسطين والاراضي العربية من خلال عملية الانسحاب من سيناء وفي تركيز الوجود الامريكي في بلدان المنطقة وربط أنظمتها الرجعية بالاستراتيجية العسكرية والسياسية الهادفة الى فرض النظام الامبريالي على الوطن العربي وأساسا تصفية القضية الفلسطينية.

اخراج "القوات الاجنبية" من لبنان، اقامة "دولة قوية" هناك وتوقيع معاهدة سلام مع الحكومة اللبنانية الجديدة.. هذه هي الاهداف المعلنة للعملية التي سميت "السلام للجليل". ان الغزو الاسرائيلي بأهدافه المعلنة والمخفية هو في الواقع عملية أمريكية بتنفيذ اسرائيلي، فمصلحة واشنطن فيها لا تكمن في توجيه الضربة الى المقاومة الفلسطينية وحسب، بل أيضا في اقامة الدليل على أن الامريكيين هم وحدهم القادرون على الضغط على الاطراف المتنازعة ولعب دور "الوسيط".. فضلا عن ابراز تفوق الاسلحة والتكنولوجيا الامريكية. أما من الجانب الاوروبي، فان حكام اسرائيل كانوا مطمئنين لموقفه "المتفهم" الذي ظهر من قبل في عدم اتخاذ عقوبات ضد اسرائيل على اثر تحطيم المفاعل النووي في شهر جوان ١٩٨١، وقصف بيروت خلال الشهر التالي، ثم بعد ضم الجولان في ديسمبر من نفس السنة. ويضاف الى هذا وضع تمريح مدينة البندقية على الرف والزيارات المتعاقبة التي قام بها خمسة وزراء أوروبيين الى القدس خلال الثلاث سنوات الاخيرة ثم زيارة الرئيس الفرنسي أيضا.

كما أن الغزو الاسرائيلي تم في محيط عربي عاجز ومشلول. فالعدو الصهيوني وهو ينفذ عدوانه الشامل على لبنان، يملك هذه المرة ورقة ثمينة هي "اتفاقيات السلام" مع مصر. وقد أوضح ذلك الجنرال شلومو غازيت بقوله: "ان وراء الانتصار في لبنان اتفاقية السلام مع مصر. فلولاها لما ذهب الجيش الاسرائيلي الى الشمال بمثل هذا الحجم، ولا قام بمثل هذا الضغط على الجبهة اللبنانية ـ السورية". ان أنظمة الرجعية العربية هي المسؤولة في آخر المطاف عن التحالف والتكالب الاسرائيلي ـ الامريكي، فما دامت مصالح الامبريالية الامريكية غير مهددة في المنطقة، وخاصة في الخليج، فلا شيء يدعوها الى تبديل سياستها العدوانية. والحال أن هذه الانظمة لم تبادر ولو لفظيا باتخاذ اجراءات للضغط على أمريكا سواء في الميدان السياسي (كقطع العلاقات الدبلوماسية مثلا) أو الاقتصادي (كحظر النفط أو سحب الارصدة، الخ...)،

بل انها على العكس، أضفت على الوجود الامبريالي طابع الرسمية والاستمرار من خلال تركيز القواعد العسكرية الامريكية ومن خلال المراهنة على السياسة الامريكية بديلا عن ارادة الشعوب العربية.

كل هذا ما كان الا ليعمق اقتناع بيغن بأنه حر في ابادة منظمة التحرير الفلسطينية عسكريا وسياسيا بشكل يسمح بتسوية المشكل الجوهرى عن طريق ارغام الفلسطينيين في الضفة الغربية وغزة على قبول "الحكم الذاتي" الذى تريده اسرائيل. غير أن هذه الاخيرة تغذى مخططا أوسع يرمي الى مواجهة شاملة مع السوريين لتوجيه ضربة حاسمة لهم ونقل الميدان الى الاردن الذى يريده الاسرائيليون دولة فلسطينية بعد ترحيل اللاجئين الفلسطينيين من لبنان وجزء من فلسطينيي الاراضي المحتلة. وهذا ما شرحه وزير الحرب الصهيوني خلال زيارة للولايات المتحدة قدم فيها للامريكيين خارطة تضم "لبنان مسيحي وضفة غربية اسرائيلية واردن فلسطينية" (صحيفة التايمز، ٤ جوان ١٩٨٢).

نتائج الغزو على لبنان والفلسطينيين

لم تكن أى حرب عربية اسرائيلية دامية مثل حرب لبنان :آلاف القتلى جلهم مدنيين، عشرات آلاف الجرحى ومئات آلاف المشردين، المدن المحطمة ومخيمات اللاجئين المدمرة... هذا هو المذهب الاسرائيلي الذى يقضي بأن يسبق القصف المكثف للمدن والمخيمات هجوم المشاة "لتجنب الخسائر في الارواح الاسرائيلية". وبالاضافة الى استعمال كافة الاسلحة الفتاكة واختبار أفظع التقنيات مثل القنبلة الفراغية لتدمير عمارات بكاملها، والقنابل الانشطارية والفوسفورية، جرب الجيش الاسرائيلي كل أنواع الضغط الجسدى والنفسي وأساليب الحصار والتجويع ومحاولة ترهيب وترويع السكان بهدف فصل اللبنانيين عن الفلسطينيين وعزل القوات المشتركة. ولعل أبشع الممارسات النازية التي نفذها الجيش الصهيوني هو ما تعرضت له مخيمات اللاجئين الفلسطينيين من تمشيط ومحق، خاصة في مخيمي عين الحلوة والرشيدية في الجنوب، حيث مشاهد الدمار في كل مكان، ثم في مخيمي صبرا وشتيلا اللذان عرفا احدى أكبر المجازر الجماعية في تاريخ الانسانية. لقد كان عدد اللاجئين قبل الغزو مائة وخمسون الفا ولم يبق منهم سوى ستون الفا اليوم يعيشون في أقسى الظروف، ويتعرضون في آن واحد لقمع مرتزقة العميل سعد حداد ولخطة حكام اسرائيل الرامية الى تشتيتهم وتهجيرهم لتفادى خطر "الارهاب" وذلك بعد أن أسر أزيد من عشرة

آلاف فلسطيني نقلوا الى فلسطين المحتلة أو الى معسكرات الاسر دون معاملتهم كأسرى حرب رغم المطالبة الدولية بذلك.

لكن الغزو العسكرى لم يتوقف عند هذا الحد، فقد رافقته عملية تدمير الاقتصاد اللبناني وبداية التطبيع الاقتصادى، كما ظهر ذلك في اغراق السوق بالمنتوجات الاسرائيلية، مما يهدد عيش الفلاحين في الجبل والبقاع اللبنانيين بما في ذلك المناطق المسيحية، وقصف المناطق الصناعية وتعطيل الانتاج ومصادرة المؤسسات الصناعية والتجارية خاصة في الناعمة والدامور بحجة أن أصحابها سوريون أو فلسطينيون. كما تسعى اسرائيل، خاصة عن طريق المصارف المتنقلة الى فرض العملة الاسرائيلية على اللبنانيين. وقد بلغت قيمة المبادلات التجارية مع لبنان في ظرف شهرين عشرة ملايين الدولارات، أى أكثر من قيمة المبادلات بين مصر واسرائيل خلال عام كامل.

وبهذا تعمل الدولة الصهيونية على اضعاف لبنان اقتصاديا بهدف السيطرة عليه واحتواء مناطقه الجنوبية واستغلال يده العاملة ومياهه. وهكذا فان عملية "السلام للجليل" هي في واقعها المأساوى عملية فرض الاحتلال الاسرائيلي في لبنان وتحقيق المطامع الاقليمية التوسعية للكيان الصهيوني.

خلاصات الحرب

اذا كان من المتعذر القيام بتقييم شامل لتحديد اتجاهات تطور الوضع اللبناني، فلا بد مع ذلك من تسجيل بعض الخلاصات التي باتت مؤكدة:

١) ان صمود المقاومة الفلسطينية مع الحركة الوطنية اللبنانية خلال شهرين ونصف من الحرب قد أفشل جزئيا خطة العدو الرامية الى ضرب منظمة التحرير الفلسطينية بحرب خاطفة وبدون انعكاسات واسعة وطويلة الامد. ان المقاومة الفلسطينية بخروجها سالمة من بيروت، وبحفاظها على مكتسباتها السياسية وأطرها وقواها العسكرية، وان خسرت احدى أهم ساحات نضالها، الا أنها منعت العدو الصهيوني من بلوغ أهدافه كاملة وعلى رأسها تصفية القضية الفلسطينية كقضية. ذلك أن حكام اسرائيل كانوا يسعون بحربهم في لبنان الى وقف التطور الذى كان يعطي للمقاومة الفلسطينية تمثيلية أوسع فأوسع، بل ان هدف بيغن وشارون انما كان في الواقع وباسم مكافحة "الارهاب" هو دفع منظمة التحرير الفلسطينية الى الاندحار كمنظمة، وأن تتحول الى مجموعات معزولة تحل محل النضال السياسي في الاراضي المحتلة، مسهلة بذلك خطة الاستيطان

ومحولة الرأى الدولي لصالح اسرائيل : فضلا عن استرجاع الهجرة اليهودية نحو اسرائيل نتيجة ردود الفعل على "الارهاب" .

٢) واذا كانت الحرب التي أريد بها تحطيم المقاومة الفلسطينية قد قادت الى توسيع الاعتراف الدولي بهذه الاخيرة ، فانها قادت أيضا زعماء الكيان الصهيوني الى عزلة لم يسبق أن عرفوا مثلها من قبل (١٢٧ صوتا ضد صوتين هما صوتا الولايات المتحدة واسرائيل داخل الامم المتحدة)وفي أوساط الجالية اليهودية وقسم لا يستهان به من الرأى العام داخل اسرائيل الذى تحرك لادانة الحرب والمطالبة بايقافها . وقد دخل هذا التذمر واللغط صفوف الجنود والضباط الاسرائيليين أنفسهم ، وهي ظاهرة لا بد أن تقود الى مراجعة الصهيونية من داخل اسرائيل .

٣) لقد أثبتت الحرب في لبنان أيضا أن كل من يتعاون مع السياسة الاسرائيلية أو يستند اليها محكوم عليه بالادانة والفشل عاجلا أو آجلا . فها هي قوات الرجعية الكتائبية تضعف سياسيا في الوقت نفسه الذى تتعزز فيه عسكريا بالوجود الاسرائيلي . وبينما كانت الجبهة الاسلامية التقدمية تتماسك تحت ضرب القنابل الاسرائيلية ، كان من الصعب على الموقف الكتائبي ، رغم ديماغوجيته ، أن يجلب التعاطف ، فالقوى التي كانت مرشحة للالتحاق باليمين المسيحي اقتربت على العكس من الصف الوطني الرافض للاحتلال .

٤) لقد بينت هذه الحرب مرة أخرى أن ميزان القوى الحقيقي يبقى هو ذلك الذى يمكن للجماهير ان تصنعه في مواجهة آلية الحرب الاسرائيلية . فالصمود اللبناني الفلسطيني في كل من بيروت وصيدا وصور وخلدة والدامور ... قد تحقق بفضل الوحدة العميقة بين المناضلين وقادتهم ، وبين السكان المدنيين الذين قدموا أرواحهم لصيانة المقاومة . لقد كانت أطول حرب خاضتها دولة اسرائيل وخسرت فيها أضعاف ما خسرت خلال كل الحروب العربية الاسرائيلية مجتمعة ، والتي شاركت فيها مع ذلك عدة أنظمة عربية . لقد نزعت تلك الجماهير بصمودها عن الانظمة العربية المتخاذلة حجة ميزان القوى "غير المتكافئ" لصالح اسرائيل للتنصل من القتال . وهذا ما سيكون له أبلغ الاثار على العالم العربي من الان فصاعدا .

الوضع اللبناني الراهن : أى "دولة قوية" ؟

هناك أكثر من خطر يهدد لبنان منذ أن تضاعف الاحتلال الاسرائيلي

بسير الكتائب نحو اكتساح السلطة :

ـ ضياع السيادة الوطنية باعطاء تزكية ضمنية لبقاء الجيش الاسرائيلي فوق الاراضي اللبنانية ، واحتدام التوتر الطائفي ، واحتمال الانقسام حيث يبقى الجنوب مفككا وضعيفا أمام خطة اسرائيل التوسعية ، وحيث يلعب العميل سعد حداد الدور الاسرائيلي في خدمة هذه الخطة . وقد قطعت اسرائيل أشواطا مهمة في طريق دمج هذا الجزء من لبنان ضمن اقتصادها ، وهي ترى في المياه واليد العاملة المحلية ، كما في الارض المحتلة ، ورقة ثمينة . وهنا أيضا تظهر الكتائب بمظهر التابع للدولة الصهيونية في اطماعها الاقتصادية والاقليمية ، والخاضعة للاهداف الامبريالية في المنطقة . ان اسرائيل تريد اقامة علاقات متميزة وبشروطها الخاصة مع لبنان . والمثل الاعلى لمشروع الكتائب هو دولة اسرائيل بالضبط ، كما قال وليد جمبلاط .

ـ فرض سلطة الاقلية الكتائبية على المجتمع اللبناني بقوة السلاح عن طريق ادماج ميليشيات وأجهزة الكتائب ضمن "دولة قوية" ، مما سيزيد من حدة التناحرات بين الطوائف وداخل الجيش والادارة المدنية . لقد كان فرض بشير الجميل المقتول من طرف اسرائيل وامريكا يرمي الى اقامة سلطة يمينية فاشية وتكريس الامتيازات الطائفية للبورجوازية المارونية والعمل على تقويتها . وهنا تجدر الاشارة الى أن موافقة الانظمة العربية الرجعية على "انتخاب" بشير الجميل يؤكد أنها رهن باشارة واشنطن التي تبتغي مبدأ "الدولة القوية" كما تطبقه في أمريكا اللاتينية . ان اقامة هذه الدولة "القوية" على مثال التصور والتنظيم الكتائبيين سيصطدم ليس بتعقيد المشاكل الداخلية وحسب ، ولكن أيضا بأهداف الحليفين الاسرائيلي والامريكي اللذين يدفعان الكتائب الى السلطة .

ـ تهديد مستقبل عشرات الالاف من الفلسطينيين في لبنان بعد تحطيم مخيماتهم . فالخطة الاسرائيلية تنص على تشتيتهم وسط السكان بعيدا عن الجنوب ، كما أن الكتائب ، رغم تصريحاتهم المطمئنة في الظاهر ، لا يمكن الا أن ينزعجوا من ميزان القوى بين المسيحيين والمسلمين في لبنان . فماذا ستكون آفاق الوجود الفلسطيني في لبنان بعد رحيل المقاتلين ؟ ان مجزرة مئات اللاجئين بمخيمي صبرا وشاتيلا ، لا تترك أى مجال للشك في ارادة دولة اسرائيل العنصرية وعملائها المحليين في تصفية الوجود الفلسطيني المدني جسديا بعد أن عجزت عن تصفية مقاومته المسلحة وتمثيليته السياسية .

منذ رحيل المقاتلين الفلسطينيين عن بيروت ، انتقل الغزو الاسرائيلي الى مرحلته الثانية ، متوخيا على المدى القريب والمتوسط تكسير شوكة المناصرين

للقضية الفلسطينية والمناهضين للطائفية والمشاريع الفاشية والاحتلال، واعطاء نفس جديد في ظل الالية العسكرية الصهيونية للقوى التي ترتبط مصالحها ووجودها السياسي باستمرار التقسيم الطائفي للبلاد. وهذا هو مغزى اقتحام بيروت الغربية فور اغتيال زعيم الكتائب. وهذا الاقتحام الذى خلف عشرات القتلى وآلاف الاعتقالات يكشف عن عمق الخطة الامريكية الاسرائيلية في قمع واضعاف اليسار اللبناني بعد خروج الفلسطينيين، وهو الدور الذى تركت للكتائب حرية تنفيذه. كما أن الاحتلال الاسرائيلي يرمي الى تعميق بل واستثارة التوتر بين الطوائف مما يسمح لجيشه بالظهور بمظهر حامي الامن. هذا مع وضع قسم كبير من الجنوب المحتل تحت سيطرة متعاونين مباشرين مع الادارة العسكرية الاسرائيلية، وفي نفس الوقت اقامة ادارة احتلال للتحكم في حياة الجنوب المتبقية.. وكل هذا في اتجاه خلق علاقة تبعية مطلقة للبنان ازاء النظام الاسرائيلي، علاقة تقننها وتشرعها اتفاقية مع الحكومة اللبنانية.

ان الغزو الاسرائيلي يهدد اذن مستقبل لبنان لسنوات طويلة. لكن امكانيات المواجهة تتوفر بناء على تحقيق المطالب التي تطمح اليها أغلبية اللبنانيين ومعهم كل القوى التقدمية العربية والدولية، وهي:

ـ الانسحاب الاسرائيلي من الاراضي المحتلة كافة وضمان استقلال ووحدة البـــلاد.

ـ منع اقامة سلطة صورية عميلة بقطع الطريق على المشروع الكتائبي الاسرائيلي الفاشي وتوفير شروط بناء لبنان وطني جيشا ودولة.

ـ اعتبار لبنان جزءا من الوطن العربي مرتبطا بالقضية الفلسطينية سياسيا، وعن طريق ضمان أمن اللاجئين الفلسطينيين فيه.

ان رغبة الاغلبية الساحقة من المجتمع اللبناني هي في مواجهة عملية تفكيك لبنان التي بدأتها اسرائيل في اليوم الاول من عدوانها الوحشي. وهذه المواجهة ستكون صعبة ومعقدة بلا شك، لانها تدور ضد مخطط أمريكي ـ اسرائيلي وبتواطؤ أطراف عربية رجعية، ولان القوى الوطنية اللبنانية فقدت امكانيات نضالية مهمة وعلى رأسها وجود منظمة التحرير الفلسطينية. ولكنها في نفس الوقت عززت مشروعيتها السياسية بوقوفها ضد الاحتلال. ان المعسكر الوطني يخوض اليوم معركة الحفاظ على وجوده ومعركة استعادة وحدة واستقلال وديموقراطية لبنان. وان الحفاظ على التجمع العربض للمعارضة والعمل على توسيعه هو شرط التصدى للهجمة الدموية التي يتعرض لها هذا الجزء الحيوى من الوطن العربي.

حرب لبنان تحرك الرأى العام اليهودى

أثارت مذبحة الفلسطينيين في مخيمي صبرا وشاتيلا موجة من الادانة والاحتجاج في أوساط الاسرائيليين. وارتفعت الاصوات مطالبة باستقالة السفاحين بيغن وشارون، ولاول مرة وصف المتظاهرون بيغن بانه ارهابي بعد أن تم وصف شارون بأنه مجرم حرب. غير ان تحرك الراى العام اليهودى بالادانة ومعارضة الحرب قد جاء نتيجة لتراكم آثار هذه الاخيرة على الصعيد البشرى والاقتصادى والسياسي، وعلى صعيد الايديولوجية المفروضة على المجتمع الاسرائيلي. فما هو مضمون هذا التحرك وحدوده، وكيف يمكن أن يكون في خدمة قضية الشعب الفلسطيني ومواجهة الفكر والسياسة الصهيونيين؟

لمـــاذا التذمـــر فـي اسرائيـــل

لقد كشفت الحرب الاسرائيلية ـ الفلسطينية في لبنان مجموعة من الحقائق أثارت لدى الرأى اليهودى داخل اسرائيل وخارجها ردود فعل مختلفة عما حدث خلال الحروب السابقة. ويمكن حصر هذه الحقائق في:

ـ انفضاح حجة "الدفاع عن أمن اسرائيل"، فالاسباب التي قدمتها تل أبيب لتبرير عدوانها على لبنان لم تقنع الكثيرين، خاصة عندما تجاوز جيش

العدوان الاسرائيلي الاربعين كلم التي أعلنت كهدف في البداية، ومنذ ذلك الوقت وعدد من الجنود الاسرائيليين يقولون جهارا أن الحكومة خدعتهم وغررت بهم، وأن الجيش الاسرائيلي هو أصلا جيش "دفاع" وليس جيش احتلال كما يدل على ذلك اسمه.

ـ ادراك أن حيوية الشعور الوطني الفلسطيني تدل على أنه لا يمكن تدمير المنظمة التي تجسده: منظمة التحرير الفلسطينية، وانه حتى لو أحرزت اسرائيل على نصر عسكري كامل، فان هذا النصر لن يحل المشكلة الفلسطينية بأي شكل من الاشكال. وبموازاة هذا، بدأت أسطورة "الارهاب الفلسطيني" تسقط شيئا فشيئا، فقد رأى الاسرائيليون بأم أعينهم أن الامر يتعلق بشعب يحسن القتال ويستميت فيه، وأن الفدائيين ليسوا "حيوانات تمشي على رجلين" كما وصفهم رأس رمح الارهاب الصهيوني بيغن. وهكذا قال "بنيامين كوهن" رئيس لجنة مناهضة الحرب في لبنان: "لقد تم تصوير مقاتلي منظمة التحرير الفلسطينية على أنهم "حيوانات". لكن آلاف الجنود الذين قابلوهم جسديا يعرفون الان أنهم رجال برأس وقلب. وقد كانت عبارة "منظمة التحرير الفلسطينية" مخيفة في الصحافة الاسرائيلية، ولكنها أصبحت اليوم كلمة انسانية اذا جاز القول".. وهذا رغم دعاية أجهزة الاعلام الصهيونية والتضييق على الصحافيين ومصادرة أفلامهم وتحقيقاتهم.

ـ ادانة أغلبية الرأي العام الغربي كما تدل على ذلك استطلاعات الرأي في أوروبا والولايات المتحدة، بالاضافة الى المواقف التي اتخذتها بعض الشخصيات اليهودية البارزة وذات النفوذ مثل ناحوم غولدمان وبيير منديس فرانس، الخ... كما أن مئات المثقفين اليهود أدانوا عملية بيغن وشارون وطالبوا بوقفها.. مما فتح ثغرة في "الاجماع الاسرائيلي" المزعوم، والدعم اللامشروط لليهود عبر العالم. والمهم في الامر، هو أن معارضة الحرب تعتبر حسب ايديولوجية النظام العسكري الاسرائيلي خرقا للمبدأ شبه المقدس القائل بالتضامن اللامشروط مع الحكومة في أوقات الحرب. فللمرة الاولى يتساءل اليهود عن صحة حسابات اسرائيل. وقد بدأ البعض منهم يرى فيها تهديدا لمستقبل الدولة الصهيونية بالذات، بينما قامت العملية كلها على مبدأ صيانة أمن هذه الدولة. وهكذا كتب "سول فريلاندر" وهو مؤرخ، وأحد مسؤولي حركة "السلام الان": "قد يحدث أن يرتد الكيد الى أصحابه. وربما سيجد شارون وبيغن نفسيهما بعد عملية بيروت، أمام ضغط قوي جدا يطالب بالاعتراف بالواقع الوطني الفلسطيني. ان ما يظهر على المدى القريب وكأنه انتصار سيؤدي على

المدى المتوسط الى مأزق سياسي".

ـ حجم الانعكاسات الاقتصادية للحرب، فاذا كان العتاد العسكري الاسرائيلي هو من تمويل المواطن الامريكي، فان المجهود الحربي الطويل قد فرض على الاسرائيليين نتائج سيئة لا بد أن تتعمق آثارها في المستقبل. ففي أواخر يوليو الماضي، أي بعد ستة أسابيع من المعارك، كانت كلفة التدخل العسكري قد بلغت ألفا ومائتا مليون من الدولارات، أي عشر الميزانية الاسرائيلية لسنة ٨٢ ـ ١٩٨٣. وقد بلغت نسبة ارتفاع المعيشة ٠٦٣ر٧٪ منذ بداية السنة، واذا استمر الارتفاع على هذه الوتيرة، فسيصل في نهاية السنة الى ٠١٣٠٪. وبالفعل، فقد صادقت الكنيسيت على زيادة ٢٥٪ في أسعار النقل العمومي والماء والكهرباء والمحروقات ومواد أخرى، كما أصدر قرض اجباري بنسبة ٤٪ على كل من يدفع ضرائب، حتى يتم جمع ٨٠٠ مليون دولار على شكل قرض طويل المدى (عشر سنوات) بفائدة ٣٪. وهذا مجرد نموذج واحد عن أنواع مختلفة من الضرائب المباشرة وغير المباشرة. ومن المنتظر اصدار ضرائب جديدة أيضا، لا سيما وأن الجيش يستعد لتمديد "اقامته" في لبنان مع كل المصاريف التي يتطلبها فصل الشتاء، فضلا عن ضرورة تمويل برنامج كبير لتعويض العتاد المحطم والذخائر المستعملة، وما أكثرها. ولا شك أن الفئات الضعيفة هي التي تتضرر أكثر من هذه المضاعفات الاقتصادية، وهكذا طالبت مجموعات من "السيفاراد (اليهود القادمون من البلدان العربية) الفقراء والمتحمسون لبيغن، باستعمال الملايير المخصصة للحرب من أجل تحسين ظروف عيشهم. وهذا ما ينبيء بتقلص القاعدة الانتخابية لبيغن والمكونة في أغلبيتها من هذه الفئات السفلى بالضبط.

حدود معارضة الحرب في اسرائيل

رغم أن الحكم الصهيوني عمل بكل الوسائل على التقليل من شأن التحرك المعادي للحرب في اسرائيل، فان الارقام الصادرة عن مؤسسات استطلاع الرأي تظهر أن واحدا من كل أربعة اسرائيليين يعتبر أن غزو لبنان عمل غير مبرر. كما أن أغلبية الاسرائيليين كانوا ضد اقتحام بيروت الغربية، أي بعبارة أخرى، ضد تصفية منظمة التحرير الفلسطينية كما يريد بيغن. وقد تظاهر يوم ٣ يوليو ١٠٠ ألف اسرائيلي في تل أبيب للتنديد بالحرب. وهذا يعني من الناحية الكمية على المستوى الفرنسي مليون وسبعمائة ألف متظاهر، وستة مليون

امريكي، ضد حرب الجزائر أو حرب فيتنام مثلا.

ان المعادلة التي يعيشها الاسرائيليون في خضم هذه الحرب الطويلة والخطيرة العواقب، هي أن حكومة الارهابي بيغن لا يمكن أن تتخلى عن استراتيجيتها القائمة على الحرب الا اذا اعترفت بخطأ سياستها، وخاطرت بالتالي بفقدان السلطة. كما أن الاسرائيليين بدأوا يدركون أن الهدف الثاني للغزو، أي اقامة "نظام جديد" في لبنان سيتطلب ابقاء الجيش في قسم من الاراضي اللبنانية على الاقل. وقد بات من المؤكد أنه يستعد لقضاء فصل الشتاء في الجنوب. لقد دخلت اسرائيل في الدوامة اللبنانية ظنا منها أنها ستقوم "بنزهة" في لبنان ليس الا، لكنها غرقت في الوحل. وهكذا بدأ التفكير الاسرائيلي يتجه من خلال معارضة الحرب ونتائجها نحو الاقرار بضرورة ترك لبنان للبنانيين واقامة "نظام جديد" في اسرائيل هذه المرة. فقد أعلن أحد مسؤولي لجنة "السلام الان" قائلا: "يقال أنه ينبغي اقامة مجلس للانقاذ الوطني في لبنان. وأنا مقتنع بأن اسرائيل في حاجة لمثل هذه الهيأة عاجلا لانقاذها من بيغن وسياسته الكارثية".

واذا كانت حركة السلام في اسرائيل قد تمكنت من تكسير جدار الصمت الذي حاول فرضه رؤوس الارهاب الصهيوني، واستطاعت البدء في خلق جبهة ثانية في اسرائيل، الا أنها تعاني من بعض الحدود التي تمنعها من تكسير الاطر السياسية التقليدية والخروج ببرنامج حقيقي للسلام. فعمل "قوى السلام" لا يتجسد في حركة سياسية معينة، بل في حركات ولجان متعددة، وهذا رغم الاقرار بأن الامر يتعلق ليس بالصراع ضد سياسة بيغن فحسب، "ولكن أيضا ضد ريغان الذي أوحى له بالحرب وفتح له مجال التحرك" كما يقول "بنيامين كوهن". كما أن سياسة "المعارضة العمالية" قد أضعفت الى حد كبير معارضة الحرب، فلو أن حزب العمل لم يؤيد الحرب، لما دامت كل ذلك الوقت، ولربما أدت الى سقوط حكومة بيغن. وقد كتب أحد أعضاء حزب العمل مقالا موجها لقيادة هذا الحزب يقول فيه: "هل تخشون من أن تلصق بكم تهمة عدم الوطنية؟ ان أكبر وأوفى وطني في هذه الايام هو من يرفع صوته ويصرخ: اوقفوا النار فورا! غادروا بيروت حالا! كفوا عن تقديم أبنائنا ضحايا على مذبح مطامع شارون وبيغن!"، بل ان البعض ذهب الى حد وصف حزب العمل بـ"الليكود الثاني"، نظرا لعجزه عن تقديم اقتراحات مختلفة ومنسجمة حتى لا يفقد أصواته الانتخابية.

غير أنه اذا كان اتجاه معارضة الحرب ما زال محدودا سياسيا، فان انعكاسات الحرب نفسها تدل مع ذلك على أن الحكم الاسرائيلي لن يتمكن من

الان فصاعدا، من تحريك الاسرائيليين على هواه، وليس له خيار منذ الان الا بين الافلاس أو توجيه سيف القمع الى صفوف الاسرائيليين هذه المرة، بعدما فشل في اخضاع وتصفية الفلسطينيين داخل فلسطين وخارجها. ولعل ما صرح به الاستاذ الديني المشهور "يسايافليبوفيتش" يشير الى هذا الافق، اذ قال: "ان هذه الحرب ليست الا مدخلا للحرب القادمة. وهذه الحروب المستمرة تغذي الصيرورة التي تضرب وجود دولة اسرائيل، من الخارج بسبب الحروب، ومن الداخل بسبب تفكك المجتمع الاسرائيلي. نحن اليوم دولة من ثلاثة مليون يهودي نسيطر على أربعة ملايين من العرب، اننا نشبه أكثر فأكثر روديسيا بالامس. الخطيئة الاصلية هي احتلال الاراضي العربية منذ خمسة عشر عاما. ان الحل الوحيد الممكن هو الانسحاب من هذه الاراضي. وأكرر ندائي للجنود الاسرائيليين، وأقول لهم: ارفضوا الخدمة في الاراضي المحتلة".

★

نماذج عن المشروع الاستراتيجي الصهيوني

لقد كانت دائما لاسرائيل أطماع ترابية وسياسية في لبنان. فالاطماع الترابية المتعلقة بالجنوب اللبناني ومصادره المائية قد عبرت عنها الحركة الصهيونية غيرما مرة حتى قبل انشاء الكيان الاسرائيلي. أما الاطماع السياسية فهي موجهة ضد النظام السياسي اللبناني المتعدد الطوائف، وهي تعود الى الخمسينات عندما كان حزب العمل الاسرائيلي يطبخ المؤامرات لبث الاضطراب في لبنان، خاصة عن طريق دفع بعض القادة الماروניين الى تكسير الوفاق الاسلامي ـ المسيحي. ولا غرابة أن نرى شمعون بيريز يدعو اليوم الى تقسيم لبنان وفصل المسلمين عن المسيحيين وارجاع لبنان الى حدود ما قبل الحرب العالمية الاولى. وهذا مقتطف من "يوميات موشي شاريت" (وهو وزير خارجية اسرائيل سابقا) تظهر أن مشاريع اسرائيل في تفكيك لبنان تعود على الاقل الى سنة ١٩٥٤.

مغامـــرة حمقـــاء

في ٢٧ فبراير ١٩٥٤ نقل شاريت ما قاله بن غريون خلال اجتماع مع ديان ولافون: "لقد حان الاوان ليعلن الماروניون في هذه البلاد دولة مسيحية.

وقد أجبت أن هذا غير معقول، فلبنان مسيحي ينبغي أن يتخلى عن صور وطرابلس والبقاع، وليس في العالم أية قوة تستطيع ارجاع لبنان الى حدود ما قبل الحرب العالمية الاولى، لا سيما وأنه سيفقد آنذاك سبب وجوده الاقتصادي".

وفي نفس اليوم أوضح بن غريون في رسالة الى شاريت أن "لبنان هو أضعف حلقة في الجامعة العربية، وان المسيحيين يشكلون أغلبية السكان في لبنان التاريخي، اغلبية لها تقاليد وثقافة مختلفة عن تقاليد وثقافة أعضاء الجامعة الاخرين" مضيفا "لقد ارتكبت فرنسا خطأ فادحا بتوسيعها حدود لبنان. ان المسلمين ضمن هذه الحدود الموسعة ليسوا أحرارا في التصرف كما يريدون، حتى ولو كانت لديهم الاغلبية، وذلك خوفا من المسيحيين. ان انشاء دولة مسيحية هو بالتالي عمل طبيعي وذو جذور تاريخية (...) في الاحوال العادية سيكون هذا مستحيلا عمليا (...) لكن في أوقات الاضطراب والثورة أو الحرب الاهلية، فان الوضع يتغير، وحتى الضعفاء يظهرون بمظهر الابطال. ربما حان الوقت لخلق دولة مسيحية بالقرب منا. ان هذا يعني هذه المرة أن كل الطاقات وكل الوسائل يجب أن تستخدم لهذا الهدف، وان علينا ان نتحرك في جميع الاتجاهات لخلق تغيير جذري في لبنان.

ان هدفنا لن يتحقق بدون مراجعة حدود لبنان. لكن اذا استطعنا أن نجد في لبنان رجالا او مهاجرين لبنانيين بوسعهم تعبئة السكان لانشاء دولة مارونية، فانه لن يفيدهم وجود حدود موسعة وسكان مسلمين كثيرين".

وفي ١٦ ماى ١٩٥٤ على اثر اجتماع لمسؤولي الدفاع والشؤون الخارجية، كتب شاريت متحدثا عن قائد الاركان العامة موشي ديان: "حسب ديان، سيكون من الضروري فقط العثور على ضابط ولو كان قائدا بسيطا، يمكننا أن نكسب عطفه او نشتريه وندفعه لكي يعلن نفسه منقذا للماروניين. وآنذاك يدخل الجيش الاسرائيلي الى لبنان ويحتل الاراضي الضرورية، ويقيم نظاما مسيحيا يتحالف مع اسرائيل. أما الاراضي الواقعة في جنوب نهر الليطاني فستضمها اسرائيل بالكامل، ويسير كل شيء على ما يرام".

وفي ٢٨ ماى ١٩٥٤، كتب شاريت يقول: "لقد أيد قائد الاركان العامة مخططا يرمي الى ارشاء ضابط (لبناني) يقبل أن يكون بيدقا حتى يظهر الجيش الاسرائيلي وكأنه يستجيب لنداء تحرير لبنان من اضطهاد المسلمين.

لقد كانت الحركة الصهيونية ترى دائما في تفكيك الشرق العربي شرطا لاستمرارها ككيان سياسي وعسكري. وهذا ما تأكد أكثر مع الغزو الاسرائيلي

للبنان. فمنذ بداية شهر جوان، نشرت مجلة "كيفو نيوم" الصهيونية مقالا بعنوان "استراتيجية من اجل اسرائيل في الثمانينات" يرسم خطوط المخطط الصهيوني في الشرق الاوسط.

استراتيجية من أجل اسرائيل في الثمانينات

وينطلق هذا المخطط، حسب المقال، من التحكم في الاردن وترحيل الفلسطينيين اليها، ثم تفكيك مصر الى مجموعة من الدويلات، واحدة قبطية وثانية في الصعيد، ودويلات أخرى محلية ضعيفة بدون سلطة مركزية، تقسيم لبنان الى خمس دويلات "كنموذج للعالم العربي كله"، ثم تفكيك سوريا وبعدها العراق الى مناطق عرقية ودينية كما في لبنان": في سوريا باقامة دولة علوية في الساحل، ودويلة سنية حول حلب وأخرى حول دمشق، بالاضافة الى دويلة درزية. أما في العراق، فينبغي تجزئته "بمساعدة كل المواجهات العربية الى ثلاث دويلات أو اكثر تبعا للمناطق الشيعية والسنية والكردية الخ...

ويقارن "أسرائيل شحاك" الذى الملخص هذا المخطط المذكور بـ"الافكار الجغراسياسية التي كانت سائدة في المانيا ما قبل ١٣٣، والتي استوعبت ما هي من طرف هتلر والحركة النازية وحددت مطامعها على أوروبا الشرقية. وهي المطامع التي بدأ تنفيذها في الفترة ما بين ١٩٣٩ و١٩٤١، خاصة فيما يتعلق بتجزئة الدول".

ويشكل لبنان ضمن هذا المخطط التقسيمي الشامل مرتكزا للتطبيق. فتفكيك لبنان الى دويلات سيؤدى الى احتدام التوتر في مجموع الشرق الاوسط. وهذه "الطائفية المسترسلة" لمجتمعات الشرق العربي هي التي تريد اسرائيل الوصول اليها عن طريق تفسيخ المجتمع اللبناني، ففي تعاقب الكيانات الطائفية هذا، ستوفر اسرائيل لنفسها موقع الهيمنة على الوضع في المنطقة.

★

قراءة في المنطلقات الايديولوجية والاساليب العملية للحركتين الصهيونية والنازية

بماذا تختلف الصهيونية عن النازية

"ما أجمل هؤلاء الرجال وأسلحتهم العصرية، انهم يتقدمون الى الامام ولا شيء يمكنه أن يوقفهم"... بهذه العبارات كان معلق الاذاعة الصهيونية يتحدث عن هجوم الجيش الاسرائيلي على لبنان، مرددا ـ بدون وعي ولا شك ـ نفس العبارات التي يتضمنها النشيد النازي!

وفي نفس اللحظة كان "هؤلاء الرجال" يشنون حربا كاسحة ضد الفلسطينيين واللبنانيين مستعملين جميع وسائل الابادة الجماعية التي تمنعها المعاهدات الدولية من قنابل عنقودية و"نابالم" ومواد سامة وقنابل الفوسفور، ولعب الاطفال الملغومة... مخلفين عشرات آلاف القتلى والجرحى في صفوف السكان المدنيين الابرياء. وبجانب هذا، قامت القوات الصهيونية بانشاء معسكرات الاعتقال في الاراضي اللبنانية المحتلة، وزجت فيها بآلاف السكان مستعملة ازاءهم كل أساليب الاهانة والضرب والتعذيب والتجويع، كما يشهد بذلك الطبيبان النرويجيان ميلير وبيرغ اللذان كانا يعملان بالمستشفيات الفلسطينية واللذان اعتقلا في أحد المعسكرات. كما قامت قوات الاحتلال بتحطيم المنازل والحدائق بالجرافات والكاسحات خشية من العمل الفدائي في الجنوب، ووضعت خطة منهجية لتدمير أحياء كاملة ببيروت الغربية، ببناياتها وشوارعها وسكانها لبنانيين وفلسطينيين، وحولت مدنا بكاملها الى حطام من

الحجارة مثل مدينة صيدا وصور والنبطية...

أمام كل هذه الاساليب الهمجية كيف لا تتبادر الى الذهن المقارنة المباشرة مع الاساليب التي استعملتها النازية في مغامرتها الخرقاء للسيطرة على العالم والانسانية جمعاء ؟

نظريـــة التفـــوق العرقـــي

الا أن أوجه القرابة بين الصهيونية والنازية لا تقف عند التطابق في الاساليب والمناهج بل تتعداها لما هو أعمق وأخطر، أى القرابة والتشابه في الاختيارات الايديولوجية والاسس النظرية، زيادة على الروابط التاريخية التي جمعت بين العصابات الصهيونية الاولى والسلطة الفاشية في كل من ألمانيا وايطاليا.

ولنبدأ بين مقارنة بسيطة بين المفاهيم الصهيونية من جهة، والنازية من جهة ثانية، فيما يتعلق بـ"الدولة" و"الاقلية الوطنية".

لقد أكد منظرو النازية بأن الشعب الالماني يشمل، زيادة على سكان ألمانيا، كل العناصر الالمانية الموجودة في بولندة وتشيكوسلوفاكيا وسويسرا وفرنسا والبرازيل والولايات المتحدة، الخ... كما يعرّفون الاقلية الوطنية الالمانية كـ"جزء من الشعب الالماني تم فصله عن متبعه لكنه حافظ على العناصر التي تشكل قيمة العرق".

أما الصهاينة، فانهم يقولون من جهتهم بـ"الشعب اليهودى الواحد" الذى تتواجد عناصره عبر العالم، في حين أن أسرائيل تشكل مركزه ووطنه و"أرض ميعاده"، وبالتالي، فان جميع اليهود الذين يعيشون خارج هذا الوطن يشكلون "أقليات وطنية" تابعة للمركز الصهيوني ومطالبة بالولاء له، كما أن لها واجبات اتجاهه.

وكل من الحركتين، الصهيونية والنازية، تعتبر أن "شعبها" وحده يتمتع بصفات وخصائص تميزه عن بقية الشعوب. وفي هذا السياق أكد هتلر أن "الاريين هم مؤسسو الحضارة عبر العالم بأسره"، في حين أن الصهيوني بن غريون، قد ألح على "التفوق الفكرى والادبي للامة اليهودية" بحيث أن اليهود يتوفرون على كل الخصال التي تجعل منهم "شعبا مختارا" لانه هو الذى تمكن ــ كما يؤكد بن غريون ــ من "خلق فكر أصيل ومتميز لم تكن تعرفه لا شعوب مصر وبابل والهند والصين، ولا شعوب اليونان والرومان وتلك المنحدرة منها

والتي تعيش في أوروبا في هذا العصر"...

وهناك أيضا تطابق في مفاهيم ومبادئ الحركتين عندما تدعيان أن كافة الشعوب الاخرى تحقد على شعبيهما وتعمل على ابادتهما. واذا كانت النازية قد ركزت في دعايتها على أن الشعب الالماني يعيش في عالم يحقد عليه ويعاديه، فان الصهيونية تقول بأن معادات السامية ظاهرة موجودة بشكل دائم وأبدى، وأنها خطر محدق باستمرار باليهود أينما حلوا وارتحلوا عبر العالم، وكلا الحركتين تستهدفان من وراء هذه الدعاية خلق أعلى درجة من الشوفينية والانزواء والتعصب لدى زبنائهما.

وهذا ما عبر عنه الصحفي الامريكي كوهن عندما قال: "ان الصهاينة يتقاسمون مع النازيين الاسس الايديولوجية التي انبنت على معاداة السامية، رغم أنهم يوظفون تلك الاسس للوصول الى نتائج مغايرة. فمقابل العرق الارى هناك بالنسبة اليهم، العرق اليهودى الذى يعتبر أكثر نقاوة وتفوقا من غيره".

التعاون المباشر والروابط المكشوفة

الا أن العلاقة بين النازية والصهيونية لا تقف عند التشابه والتطابق فيما يخص المنطلقات والاسس الايديولوجية، بل تتعداها الى العلاقة التنسيقية المباشرة والروابط المصلحية المكشوفة، علما بأن القاسم المشترك بين الحركتين يبقى هو بروزهما من صلب نفس البورجوازية الامبريالية الاكثر شوفينية ورجعية. ولقد بات مؤكدا أن الزعماء الصهاينة كانوا على صلة تنسيق مباشرة مع الحكم النازى بألمانيا، ومع الحركة الفاشية بشكل عام. فمنذ الثلاثينات، شعر الزعماء الصهاينة بأن تحالفهم مع بريطانيا لم يعد كافيا وأنه من الضرورى البحث عن حلفاء مضمونين ومتجاوبين مع طبيعة حركتهم ومبادئها.

وهكذا استقبل الزعيم الايطالي الفاشي موسوليني الزعيم اليهودى ناحوم غولدمان وصرح له قائلا:

"يجب عليكم أن تنشئوا دولة يهودية حقيقية، وأن لا تكتفوا بهذا الملجأ الحقير الذى منحكم اياه البريطانيون. وانني شخصيا من مؤيدى الصهيونية، وسأساعدكم على انشاء هذه الدولة"...

وهذه المساعدة التي يتحدث عنها الدكتاتور الايطالي هي نفسها التي قدمها حلفاؤه الالمان من خلال تقتيل ملايين اليهود في مختلف البلدان الاوروبية، الشيء الذى كان يخدم موضوعيا الصهاينة، ويعزز فكرتهم حول ضرورة

تعرض اليهود للاضطهاد حتى يكونوا مضطرين للالتفاف حول الحركة الصهيونية. وهذا هو رأى ناحوم غولدمان نفسه الذى يخشى "تفتت اليهود" بشكل سريع في حالة عدم تعرضهم للاضطهاد، وهذا ما عبر عنه بشكل واضح عندما قال: "ان التضامن هو الذى مكن من وحدة الشعب اليهودى. وحتى بالنسبة لتقتيل ملايين اليهود من طرف النازية، لقد عاد بنتائج مفيدة تجلت في اذكاء روح التضامن والاصرار على البقاء يهوديا". وهذا أيضا ما ترجمه النازيون في دعايتهم من خلال شعارهم المشهور: "ألمانيا للالمان، واليهود الى فلسطين"، والذى كان يناسب تماما أهداف الحركة الصهيونية.

وفي هذا الاتجاه، عقد النازيون مع الزعماء الصهاينة سنة ١٩٣٣، اتفاقية تحت عنوان "عملية الانتقال هافارا"، الرامية الى تهجير اليهود من ألمانيا الفاشية نحو فلسطين، وذلك بتمويل من الحركة الصهيونية نفسها، وهذا ما تؤكده "الموسوعة اليهودية" التي تقول: "في سنة ١٩٣٤ صدرت تعليمات رسمية الى جميع السلطات المحلية في ألمانيا النازية تنص على تشجيع نشاط المنظمات والشبيبة الصهيونية في ألمانيا بهدف تهجير اليهود الى فلسطين".

وفي سنة ١٩٣٨، صدرت عن الحكم النازى تعليمات أخرى تنص على عدم مضايقة نشاط الرأسماليين اليهود، ذلك أن هتلر كان في حاجة الى العملة الصعبة التي يجلبها له الرأسماليون الصهاينة من أجل تسليح جيشه. وفي نفس الاتجاه، صدر عن وزارة الخارجية الالمانية تعميم الى سفاراتها وهيآتها الدبلوماسية عبر العالم يقول بالنص: "ان الاهداف التي يعمل من أجلها اليهود الذين يسعون الى خلق كيان خاص بهم، وعلى رأسهم الصهاينة، لا تختلف في شيء عن أهداف السياسة الالمانية تجاه اليهود عامة"...

ولما شرع النازيون في التقتيل الجماعي لليهود، استعانوا بالمنظمتين الصهيونيتين اللتين أنشئتا في ألمانيا تحت رعاية النظام النازى وهما "المجلس اليهودى" و"الرابطة الامبراطورية ليهود ألمانيا". وكان دور المنظمتين هو وضع لوائح اليهود الذين يتوجب قتلهم واحصاء ممتلكاتهم واستدعائهم الى المكان المقرر لاعتقالهم، ومطاردة من تغيب أو اختفى منهم.

وهكذا فان الصهاينة قد ساهموا فعلا في جرائم النازية، والتقت مصالحهم مع مصلحتها في تقتيل ملايين الابرياء، في حين أننا نراهم اليوم يتمادون في الجريمة والاعتداء على الشعب الفلسطيني، بدعوى الانتقام لهؤلاء الابريـــــاء!

الحقيقة، كما يقول الصحفي الامريكي هنرى دراير، أن "حكام

اسرائيل ليسوا أولئك اليهود الاوروبيين الذين نجوا من الموت في معسكرات هتلر، بل انهم يستعملون الجرائم التي ارتكبتها النازية في حق اليهود، للتغطية عن الجرائم التي يقومون بها هم أنفسهم في حق الشعب الفلسطيني".

وما ممارسة التقتيل الجماعي، واحتقار القانون الدولي، وسياسة الهجوم والتوسع على حساب البلدان العربية، والعنصرية التي رفعها الصهاينة الى مستوى عقيدة الدولة.. الا صورة طبق الاصل للعقيدة والممارسة الفاشية السيئة الذكر.

واذا كانت الحركة الصهيونية، في دعايتها الرسمية، تنفي على نفسها هدف التقتيل الجماعي للشعب الفلسطيني، فان بوادر هذا الهدف قد تجلت في الحقيقة منذ أن شرع الصهاينة في احتلال فلسطين، وقت الحماية البريطانية، مدعين بأن لا وجود لشعب اسمه الشعب الفلسطيني، وأن فلسطين "أرض بلا شعب"، وبالتالي، فلم يبق للشعب اليهودى، الذى ليس له وطن، الا أن يتمكن من هذه الارض...

وهذا ما شرحه الخبير القانوني الامريكي "سولز بريجر" عندما قال: "ان الصهيونية ليس لها عمليا أى معنى الا اذا عملت على القضاء على الشعب الذى وجد في فلسطين، ومنعه من أى حق في تقرير مصيره واستبدال ارادته بارادة أجنبية"...

من الاستعمار الى التقتيل الجماعي

عندما شرعت الحركة الصهيونية في استعمار فلسطين قبيل الحرب العالمية الثانية، كانت اهدافها المحلية تتجلى في شعارين أساسيين هما: "الحصول على الارض" و"التمكن من الشغل". وكان يعني الشعار الاول، بكل بساطة، طرد الفلاحين الفلسطينيين من الاراضي التي يشتريها الرأسمال الصهيوني العالمي من الاقطاعيين العرب بهدف اقامة الضيعات الصهيونية "الكيبوتزات"، والتي كان دخولها ممنوعا على العرب، منعا كليا.

اما الشعار الثاني، فيترجم مبدأ عنصريا آخرا وهو حرمان العرب من الشغل في المؤسسات الصناعية والتجارية التي احتكرها اليهود. ولقد حولت الصهيونية هذين الشعارين تدريجيا، لدمجهما في شعار أساسي واحد "الشغل لليهود في الارض اليهودية".. وكان هذا يعني حرمان الفلاحين الفلسطينيين من وسائل عيشهم، وتحويل العمال الى عاطلين، وفقا لمبدأ عنصرى واضح. وما أشبه

هذه الاساليب بتلك التي كانت تستعملها النازية داخل وخارج ألمانيا عملا بشعار "الدفاع عن مصالح الشغل الالمانية" والتي أصدرت الحكومة الالمانية بصددها يوم ٢٨ مارس ١٩٣٣، تعليمات رسمية تقول حرفيا: "لا تشتروا شيئا من المتاجر اليهودية، قاطعوا الاطباء والمحامين اليهود ..." وبعبارة أخرى، فان الاساليب التي استعملتها النازية في حق اليهود، هي نفسها التي طبقتها الحركة الصهيونية حيال العرب الفلسطينيين ...

وبما أن هذه الاساليب أثارت مقاومة الفلسطينيين، فان الصهاينة لم يترددوا في خلق فرقهم الارهابية بهدف التصفية الجسدية لكل من رفض أو ناضل أو قاوم، وهكذا شرعت منظمات "هاغانا" و"الارغون" و"ستيرن" في زرع الرعب والموت والارهاب بشراسة ووحشية لم يسبق لهما مثيل، بهدف طرد العرب الفلسطينيين من ديارهم بالقوة، غير مترددة في ارتكاب أبشع واشنع الجرائم من أجل الحصول على أكثر ما يمكن من الاراضي قبل نهاية الحماية البريطانية.

وهذه المنظمات الفاشية، وعلى رأسها الارغون" التي تزعمها الارهابي بيغن، هي التي استحوذت على مدينتي يافا وحيفا بالقوة وبتحد لقرارات الامم المتحدة، وهي التي اشتهرت بعملياتها الوحشية في كل من دير ياسين وكفر قاسم حيث كشفت عن طبيعتها الاجرامية الشنعاء من خلال التقتيل الجماعي للرجال والنساء والاطفال والشيوخ، مرغمة أزيد من مليوني عربي فلسطيني على التشرد والرحيل واللا جوء ... وهذه الجرائم كلها لم تكن محرجة للصهاينة الفاشيست، بل كانت موضوع مفخرة وتباهي بالنسبة اليهم، وهذا ما عبر عنه الارهابي بيغن نفسه عندما قال: "لم يكن بالامكان اقامة دولة اسرائيل لولا انتصارنا في دير ياسين"! وقد كانت صور القتل والدمار في دير ياسين تطبع في الاف المنشورات وتوزع على سكان القرى الاخرى حاملة هذا التعليق: "ان لم ترحلوا، فسيكون هذا مصيركم"! وما أشبه هذه المنشورات بتلك التي وزعها الصهاينة على سكان بيروت الغربية وهم يمارسون نفس أساليب التدمير والتقتيل الجماعي: فالمجرمون الذين قادوا عمليات دير ياسين وكفر قاسم، هم أنفسهم الذين يعملون على تدمير لبنان سكانا وبلدا.

"الحرب الوقائية" و"المجال الحيوي"

ومن بين أوجه القرابة بين الصهيونية والنازية تطابق مفهوميهما

"للمجال الحيوي" و"الحرب الوقائية".

الملاحظ ان الصهاينة لم يحددوا يوما ما مساحة الدولة التي يريدونها بل أن أحد زعماء الصهيونية البارزين بن غوريون، سبق أن صرح قائلا: "ان حجم الدولة اليهودية سيتم تحديده من خلال الحرب"... فبالاضافة الى أطروحة "اسرائيل الكبرى" من النيل الى الفرات التي يقول بها حزب "تيهيخا" الذى يشارك بيغن في السلطة، هناك اطماع توسعية باتت مطروحة رسميا من طرف الصهاينة. لقد صرح الارهابي بيغن بأنه لا ينوى التنازل عن الضفة الغربية وغزة، وعن مرتفعات الجولات التي ضمها رسميا سنة ١٩٨١، وكذلك الشأن بالنسبة للمناطق الجنوبية في لبنان.. تماما كما كان هتلر يطالب بنصف أوروبا!

أما بالنسبة لشعار "الحرب الوقائية"، يجب التذكير هنا ان أول من طرحه هم تحديدا حكام ألمانيا النازيون للتغطية عن أهدافهم التوسعية الحقيقية كوسيلة لتحصيل مسؤولية الاعتداء للمعتدى عليه.

واذا كانت النازية قد تدرعت وراء "الدفاع عن العالم الحر والحضارة الغربية" والتصدى "للخطر الشيوعي" لتنفيذ مراميها التوسعية، فاننا نرى الصهيونية أيضا تقدم كل هجوماتها واعتداءاتها على أنها مجرد عمليات "وقائية" تفرضها الضرورة امام "الارهاب" و"العداء العربي". ومن أجل نيل عطف الرأى العام الغربي، والتأثير عليه من خلال وسائل الاعلام التي تتحكم في العديد منها، نراها ترفع نفس الشعارات وتقدم نفس التبريرات وتنصب نفسها "مدافعة عن قيم العالم الغربي ضد "الخطر الشيوعي" بنفس الطريقة التي سلكها أسلافها في الحركة النازية.

وها هو بيغن يصرح لصحيفة "شيكاغو تريبون" (يوم ٢٢ يوليو ١٩٨٢) محاولا تبرير هجوم القوات الصهيونية على لبنان، حيث يقول: "ان تكديس الاسلحة المتطورة في لبنان من طرف الاتحاد السوفياتي لا يمكن تفسيره الا بنيتها في احتلال اسرائيل ثم الاردن والعربية السعودية وكل دول الخليج"... هذا مع العلم أن المخطط الصهيوني ـ كما يكشف عنه الوزير الاول السابق للكيان الصهيوني شاريت في مذكراته التي نشرت مؤخرا ـ كان يتضمن قبل وجود أى فلسطيني مسلح في لبنان، ضرورة غزو جنوب لبنان واحتلاله حتى نهر الليطاني، واقامة نظام مسيحي في الشمال...

اما بالنسبة للقانون الدولي، وقرارات الهيئات الدولية، فان الصهيونية لا تعتبر نفسها معنية بها اطلاقا، اذ أنها تعتبر أن ما تعمله وتقوم به يستند الى "حق تاريخي طبيعي"، وهذا ما عبر عنه المنظر الصهيوني

"روبير مسراحي" عندما قال: "ان للرجل اليهودى والدولة اليهودية الحق في العيش حسب اختيارهما وخاصيتهما". وقد علق الكاتب ورجل القانون الفرنسي "فيليب دو سان روبير" على هذا قائلا، ان هذا الطرح لا يختلف عن الاعتراف بان "هتلر كان له الحق كذلك في بناء الدولة النازية كما يشاء، وتقتيل الابرياء كما يحلو له".. وهذا الطرح يشكل في حقيقة الامر مثالا ساطعا عن افراغ مفهوم الحق والقانون من محتواهما الحقيقي، وتحويلهما الى أدوات لتبرير الظلم والعسف والاستعباد.

هكذا فان القانون الصهيوني يعتمد على تاويل صهيوني لليهودية، وينصب نفسه حاميا "لشرف اليهود، ونقاوة دمهم"، بنفس الطريقة التي حرّم بها القانون النازى الصادر في ١٥ سبتمبر ١٩٣٥ الزواج المختلط بين العنصر الالماني وغيره، وذلك من أجل حفظ "نقاوة الدم الالماني والشرف الالماني" على حد تعبيره الحرفي...

واذا ما اضفنا الى هذا التطابق في الطرحين الصهيوني والنازى، تشابه عقليتهما الشوفينية ومبادئهما العنصرية سواء على المستوى السياسي أو الثقافي، ودرجة عسكرتهما، بدت لنا بكل جلاء ووضوح القرابة المتينة بين الصهيونية والنازية. وهذا ما لن تغطي عنه مهارة الصهاينة وحلفائهم في تشويه الحقائق والمعطيات، واستبدال الاحداث بغيرها أو نكرانها، وشن الحملات الاعلامية المسمومة وسط الرأى العام.. وهي نفس الاساليب التي استعملتها الحركة الفاشية النازية بدون جدوى.. ذلك أن حكم التاريخ آت لا محالة.

★